منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (4887) السنة الثامنة عشرة - الاربعاء (3) آذار 2021

www.almadasupplements.com

جوديث بتلر

2 » كيف نعيش حياة حقيقية ضمن حياة زائفة؟

3 » في حوار مع الفيلسوفة الأميركية جوديث بتلر

4 » جوديث بتلر.. كورونا الذي أعاد لنا كوابيس كافكا

6 » جودث بتلر حول ترمب، والفاشية، وبنية الشعب

جوديث بتلر فيلسوفة النوع والهوية:

كيف نعيش حياة حقيقية ضمن حياة زائفة؟

العلوي رشيد

تعد الفيلسوفة جوديث بتلر، أبرز زعماء النظريّة النقديّة المعاصرة (الجيل الثالث). وهي يهوديّة أميركيّة ذات أصول روسيّة – مجريّة، عانت عائلتها من الاضطهاد النازي، وفقدت جزءا من عائلتها في المحرقة النازيّة (حيث أبيدت عائلة جدتها في قرية صغيرة في جنوب بودابست). ولدت الفيلسوفة يوم ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٥٦ بكليفلاند بولاية أوهايو. واهتمت بالفلسفة السيّاسيّة والاجتماعيّة ونظريّة الأدب والدراسات الثقافيّة والجنسانيّة والنوع الاجتماعي والهويّة.

حصلت سنة ١٩٨٤ على أطروحة الدكتوراه من جامعة يال، حول مفهوم الرّغبة عند هيغل، ونشرت رسالتها سنة ١٩٨٧ تحت عنوان: «ذواتٌ راغبَة: تأملات هيغليّة حول فرنسا القرن العشرين»، وطوّرت فيها فهمًا جديدًا للعلاقة بين الرغبة والاعتراف (دمجٌ لفكر اسبينوزا وهيغل) .

غادرت سنة ١٩٩٣ جامعة جونس هوبكينز، بعد حصولها على كرسي ماكسين إليوت بشعبة البلاغة والأدب المقارن بجامعة بيركلي بكاليفورنيا، وهي السنة التي أصدرت فيها دراستها الشهيرة «هذه الأجساد التي يجب اعتبارها». كما حصلت سنة ٢٠٠٦ على كرسي حنة أرندت للفلسفة في كلية الدراسات الأوروبيّة العليا بسويسرا. وانتخبت سنة ٢٠٠٩ رئيسة محكمة هوسرل حول فلسطين، والتي تجمع المثقفين الأميركيين حول القضيّة الفلسطينيّة لحشد شروط سلام دائم وعادل بين إسرائيل وفلسطين، وذلك بفضل موقفها الثابت من رفض وشجب عنف الدولة الإسرائيليّة.

تنتمي جودي (كما يحلو لأصدقائها الجامعيين مناداتها)، إلى النظريّة النقديّة المعاصرة، بفضل إسهاماتها المتعددة حول قضايا فلسفيّة متنوعة، حافظت من خلالها على إرث مدرسة فرانكفورت. لذلك حصلت سنة ٢٠١٢ على جائزة أدورنو الذائعة الصيت، عن جدارة واستحقاق، رغم هجوم الصهاينة عليها علنًا. وهناك الكثير من الدراسات التي اهتمت أخيرا بفكرها الفلسفي والسياسي، منها تحديدًا: «الفلسفة السيّاسيّة عند جوديث بتلر»، من تأليف بيرجيت شيدرز (٢٠١٤)، الذي عالج فيها سياسات تشكّل الذات، فلسفة الإنسان السيّاسيّة، مفارقة العنف، نحو مجتمع ما بعد العلمانيّة. إلى جانب الدراسة النقديّة التي أنجزها ستيفان هابر سنة ٢٠٠٦. تحت عنوان: «نقد مناهضة النزعة الطبيعيّة: دراسات حول فوكو وبتلر وهابرماس»، ناهيك عن مئات المقالات، وسيرتها التي كتبتها سارة صالح تحت عنوان: «جوديث بتلر» (٢٠٠٢)، وفحصت فيها مفاهيم: الذات، الجنوسة، الجنس، اللغة، والنفس.

تَشكل الفكر الفلسفي لبتلر منذ مراحل مبكرة من حياتها. وقد جالت في الفكر الحديث، وساجلت اسبينوزا وروسو وهيغل وكانط، وطورت فلسفة فوكو وفرويد والتوسير وجاك لاكان وهابرماس وجاك دريدا وسيمون دي بوفوار. في حوار معها، مع مجلة الفلسفة (العدد ٦٦)، قالت بتلر، إن علاقتها بالفلسفة بدأت من قبو منزلها العائلي، حيث وضع والداها كتابات فلسفيّة مختلفة: «هناك قرأت اسبينوزا (كتاب الإثيقا) وكيركغارد وآخرين». بعد اطلاعها على هيغل، ستتبنى بتلر مفهوم الاعتراف الذي أثر في حياتها السيّاسيّة والفلسفيّة فيما بعد، نظرا لالتصاقه بوضعها الذاتي. فالرغبة في العيش، كما تحدث عنها اسبينوزا، غير ممكنة في نظرها إلا من خلال الاعتراف الهيغيلي، بحيث لا يرتبط الاعتراف بتحقيق الرغبة في العيش فقط، وإنما العيش بطريقة حرة ومختارة، أي أنه يطرح سؤال الهويّة تحديدًا التي لا تنظر إليها كشيء ثابت ومحنط، بل كهويّة تتشكل بحسب الظروف التي ينمو فيها الفرد وبفضل تنشئته الاجتماعيّة التي يخضع لها. وهكذا فمعرفة الذات لا تتم من خلال الغير ولا ترتبط به، لأنها قد تكون هويّة غير اجتماعيّة، أو خاضعة لمعيّاريّة اجتماعيّة هي بمثابة أحكام قبليّة غير صحيحة، لذلك نقرأ لها في كتابها «الذات تصف نفسها»:

«بينما نحن نطلب معرفة الآخر، أو نطالب الآخر أن يعرّف نفسه على نحو نهائي ومؤكد، فإن من المهم لنا ألا ننتظر جوابًا شافيًا بأي حال. إننا بامتناعنا عن السعي إلى القناعة، وبإبقائنا السؤال مفتوحًا، بل حتى ثابتًا، نمنح الآخر فرصة أن يعيش ما دام بالإمكان فهم الحياة بوصفها، على وجه الدقة، ذلك الذي يتجاوز أي وصف قد نقدمه له... إذا كان في السؤال رغبة في الاعتراف، فعلى هذه الرغبة أن تبقي نفسها حيّة بوصفها رغبة وألا تحل نفسها... إن الرغبة يجب أن تدوم. في الواقع، يكون الإشباع نفسه، أحيانًا، الوسيلة التي يتخلى بها المرء عن الرغبة، الوسيلة التي ينقلب المرء بها ضدها، ويرتب لموتها السريع» .

من المعلوم أن سؤال الرغبة والحاجة إلى الاعتراف عند جودي، ليس أمرًا معزولاً عن العلاقة مع الغير، كما أنه لا ينفصل كليًا عن سؤال الهويّة وعلاقتها بالذات. فالهوية ليست سابقة على الوجود الاجتماعي بالقدر الذي يكون فيه هذا الوجود هو أساس الهويّة. وقد استعارت جودي هنا، عبارة سيمون دي بوفوار: «المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح كذلك»، وهو ما يقود إلى التساؤل حول الهوية (وأساسًا الهويّة الجنسيّة) التي تتميز اليوم بالتعدد والتنوع: كيف يمكن الاعتراف برغبتي؟ وكيف تؤسس المعايير لهذه الرغبة؟ وهل يمكنك الاعتراف برغبتي لأتصرف كراغبة في شيء ما، ولربما ما يحلو لي؟ لذلك تصرح: «عندما أطرح السؤال الأخلاقي: كيف يتوجب علي أن أعامل الآخر؟ أنا أقع مباشرة في قبضة مملكة من المعيّاريّة الاجتماعيّة، ما دام الآخر لا يظهر، ولا يشتغل بوصفه آخر بالنسبة لي، إلا ضمن إطار أستطيع أن أراه وأفهمه في انفصاله وخارجيّته. وهكذا، فرغم أني قد أفكر في العلاقة الأخلاقيّة بوصفها ثنائيّة، أو بالأحرى سابقة على الاجتماعي، فإني لا أقع في قبضة مجال المعيّاريّة وحسب، ولكن في إشكاليّة القوة... فالقواعد لا تعمل على توجيه سلوكي وحسب ولكنها تقرر النشوء الممكن للقاء بيني وبين الآخر» (الذات تصف نفسها ٦٩) .

تحاول جودي الجواب عن سؤال طرحته في خطابها، بمناسبة نيلها جائزة أدورنو (خطاب تحت عنوان: «أخلاق لعصر هش»): كيف يمكن أن نعيش حياة حقيقية ضمن حياة زائفة؟ بحيث يقر أدورنو أنه «لا توجد حياة حقيقيّة ضمن حياة زائفة»، حياة حقيقية داخل عالم مبني بشكل واسع على اللامساواة والاستغلال والإقصاء. إنه سؤال مركب يطرح من خلاله أدورنو العلاقة بين الأخلاق والشروط الاجتماعيّة، أو بصيغة أعم، العلاقة بين الأخلاق والنظريّة الاجتماعيّة. تصرح بتلر: «أحبذ أن أظهر أنه لا يمكننا أن نناضل من أجل حياة جيّدة، حياة تستحق العيش، دون الاستجابة للحاجيات التي تسمح للجسم بضمان الاستمراريّة». لذا فكيف يمكن التفكير في حياة قابلة للعيش دون افتراض تصور – مثال واحد أو موحد لهذه الحياة؟

فحصت جودي في خطابها ذاك، سؤال الحياة الجيّدة عند حنة آرندت، وتقول: «ميّزت حنة آرندت بشكل حاسم في كتابها «حياة الذهن» (١٩٧١) بين الرغبة في العيشِ والرغبة في العيش الكريم، أو بالأحرى الرغبة في حياةٍ جيّدة. لم يكن البقاء بالنسبة لحنة آرندت ولن يكون هدفًا في ذاته، ما دام أن الحياة لم تكن أصلاً جيّدة. فالحياة الجيّدة وحدها تستحق أن تعاش. لقد وضعت بسهولة حلاً لهذه المشكلة السقراطيّة، ولكن – كما يبدو على الأقل – بشكل متسرع جدًا. لست متأكدة من أن إجابتها ستنقذنا في إغاثة، كما أني لست مقتنعة أنه ذات يوم ستكون إجابة فعّالة». فآرندت «تفصل أساسًا، حياة الجسد عن حياة الذهن، وبموجب هذا، أقامت في كتابها (شرط الإنسان الحديث)، تمييزًا بين الفضاء العمومي والفضاء الخاص. يضم الفضاء الخاص عالم الضرورة، إعادة إنتاج الحياة المادية، الجنسية، الحياة، الموت، والطابع الانتقالي للحياة. كانت تعتبر بشكل واضح، أن الفضاء الخاص يدعم الفضاء العمومي للفعل والفكر. ولكن السياسة في تصورها، تتحدد بالفعل، في الإحساس الفعّال بالكلام. كما يصير العمل اللّفظي، أيضًا، فعلاً سياسيا في الفضاء التداولي والعمومي، ما يجعل دخوله للفضاء العمومي ينطلق من الفضاء الخاص، وبالتالي فالفضاء السيّاسي يعتمد أساسًا على إعادة إنتاج الخصوصي كجسر واضح، من الخاص إلى العام».

هكذا تصل بتلر إلى أن التحرك السيّاسي في الفضاء العمومي، لا يتم فقط عبر الجسد، على من طرق التجمع والغناء أو الهتاف، أو حتى الصمت في الشارع هي جزء لا يتجزأ من البعد الأدائي للسيّاسة، حيث يتحدد الخطاب كفعل جسدي من ضمن أفعال جسديّة أخرى. تتصرف الأجساد حينما تتكلم، وهذا مؤكد، ولكن الكلام ليس وحده طريقة للفعل بالنسبة للأجساد – ومن المؤكد أنه ليس وحده شكلاً للتّحرك السيّاسي.

تعتبر جودي من دعاة الحل الثالث للقضيّة الفلسطينيّة: البحث عن الاعتراف المتبادل بين الشعبين، أي تسويّة للعيش المشترك حيث الأمن والاستقرار. غير أن هذا الأمر يرتبط بالفلسطينيين وبقرارهم الذي تعتبره القرار الحاسم. وقد تذكرت موقف إدوارد سعيد الذي تراجع عن حل الدولتين حيث تقول: «من وجهة نظري أن شعوب هذه الأراضي، يهودًا وفلسطينيين، يجب أن يجدوا طريقة للعيش سويّة على أساس المساواة. ومثل الكثيرين، أتطلع إلى كيان ديمقراطي على هذه الأراضي، وأؤيد مبدأ تقرير المصير والعيش المشترك لكلا الشعبين، وفي الواقع، لكل الشعوب. وأمنيتي، كما هي أمنية عدد متزايد من اليهود وغير اليهود، أن ينتهي الاحتلال، ويتوقف العنف بكافة أشكاله، وأن يتم ضمان الحقوق السيّاسيّة الأساسيّة لكافة الشعوب في (هذه) الأرض عبر تركيبة سيّاسيّة جديدة». ويعود ذلك، إلى اكتشافها الفكر اليهودي في سن الرابعة عشرة من عمرها كما تقول (مجلة الفلسفة العدد ٦٦): «تابعت الدروس حول الدين والعبريّة في معبدي بمدينة كليفلاند، كما اطلعت أيضا على الروايات والكتب حول إسرائيل والهولوكوست. لقد شغلتني هذه المسألة منذ مدة طويلة، وتحضر في الكثير من كتبي»، منها على سبيل المثال: «الخطاب المثير: سيّاسات الأداء» (١٩٩٧)، و«الحياة النفسيّة للقوة: نظريّات في الإخضاع». وتشكل جودي مثالا لـ«المثقفة الجريئة المتعاطفة»، كما وصفها البيان التضامني للمثقفين الفلسطينيين بعد الهجوم الذي تعرضت له سنة ٢٠١٢ إبان ترشيحها في ألمانيا. فهي عضو في الهيئة الاستشاريّة لـ«الصوت اليهودي من أجل السلام»، وممثلة في اللجنة التنفيذية لـ«أساتذة من أجل السلام الفلسطيني – الإسرائيلي، في الولايات المتحدة الأميركيّة»، وفي «مؤسسة مسرح الحريّة في جنين» .

تطرح بتلر دومًا السؤال (مجلة ف ع ٦٦): هل ينبغي لزوم الصمت؟ هل ينبغي إنكار الوضع اليهودي تحت ذريعة أننا لا نقبل سياسة إسرائيل؟ لا، فإسرائيل لا تمثل كل اليهود، والصهيونية ليست زعيمة اليهودية، لأنه «لا يمكنني شخصيًا، أن أكون يومًا مناهضة للساميّة. كنت ساذجة! وصرخت أولاً، في وجه هذه الاتهامات في ألمانيا سنة ٢٠١٢. حينما حصلت على جائزة أدورنو، بأن هذا ليس إلا لغوًا، ولكن ليس الأمر كذلك، إنه حقا أمر جدي... كانت هذه التجربة صادمة، ومؤلمة جدًا. بالنسبة لليهودي، لا يوجد امتحان أسوأ. وبالنسبة لي كيهوديّة، لا يوجد ما هو أسوأ من الاتهام». وهي ترفض العنف تحت أي مبرر، حيث صرحت في محاضرتها سنة ٢٠١٠ في الجامعة الأميركية بالقاهرة، في ذكرى إدوارد سعيد: «كنت دومًا ميّالة إلى الفعل السيّاسي اللاعنفي»، و«إنه لصحيح أنني لا أؤيد ممارسة المقاومة العنفية، كما لا أؤيد عنف الدولة، ولا يمكنني تأييد ذلك، ولم أفعل ذلك يومًا»، وهذا ما تؤكده كتاباتها في هذا المضمار: «حياة قلقة – مستباحة: قوى العنف والعزاء»؛ و«أطر الحرب: متى يؤسى على الحياة؟»؛ و«طرق متفرقة: اليهودية ونقد الصهيونية»؛ «حياة هشة» .

عن جريدة العرب اللندنية

في حوار مع الفيلسوفة الأميركية جوديث بتلر

«إذا كان فوكو يعتقد أن هناك فرقاً بين قتل حياة شخص آخر وترك آخر يموت ، فإننا نرى أن عنف الشرطة يعمل جنباً إلى جنب مع الأنظمة الصحية التي تسمح للناس بالموت.إنها عنصرية منهجية تربط بين شكلي السلطة «..هذا ماتراه الفيلسوفة الأميركية والمنظّرة جوديث بتلر مؤلفة كتاب (قوة اللاعنف) التي تحدثت في حوار أجراه معها موقع سبرنغر الالكتروني عن سياسة اللاعنف وعدم المساواة الاجتماعية وتأثيرات وباء كوفيد -١٩ على العالم قائلة :

ترجمة : عدوية الهلالي

« إن الوبـاء أزمة في حـد ذاتها ولكنها أيضًـا أزمة تؤدي إلى تفاقـم الأزمـات الموجـودة مسبقـاً في رأس المـال والرعاية والعرق والمناخ. وإذا كنا نسعى لإصلاح العالم أو الكوكب ، فلا بد مـن تحريره من قيود اقتصاد السوق الـذي يستفيد من توزيع الحياة والموت. فعندما وجهت الدولـة ضرورة لفتح الاقتصـاد في منتصف الوبـاء ، فقد أتـى ذلك على حسـاب الأرواح البشريـة ، وهـذه الأرواح عمومـاً هي حيـاة السـود والملونـين الذيـن يعملون في السوق. باختصار ،لقد كشف الوباء العالمي عن "محرك الموت في قلب الآلة الرأسمالية" ..

***إن محاولـة التعبيرعن شـعور العيـش في ظل هذا الوباء أمـر صعب لأننا نعيش مشـاعر الحزن العميق والعزلـة التي لا تطاق وحتـى تخيلات الرعب المروع. فـي أوقـات أخـرى ، هناك شـعور بالأمـل والوضوح حـول مـدى ترابطنا ، ومـدى تضليلنـا وخطورتنا في تصرفنا ومعاملتنا مع الآخرين في ظل افتراضات وممارسـات نيوليبرالية. نحن ، بعد كل شـيء ، كمـا قلـت ، "استسـلمنا مـن البدايـة لعالـم الآخرين." لا يمكـن أن تكـون وجهـة نظـرك وثيقة الصلـة أكثر لأننـا نجـد أنفسـنا وسـط ثغرة عالمية غير مسبوقة. هـل يمكنك التحـدث عن كيفية تفكيرك في الثغرة الأمنية في هذه اللحظة ، لا سيما فيما يتعلق بكيفية عـدم توزيعهـا بشـكل متساو؟**

– مـن ناحيـة أخـرى ، يكشـف الوبـاء عـن ضعـف عالمي. فكل شخـص معرض للإصابـة بالفيروس لأن الجميـع معـرض للعـدوى الفايروسيـة مـن الأسطح أو مـن البشر الآخرين دون تكويـن مناعـة. الضعـف ليـس مجـرد حالـة احتمـال تعرضك للأذى مـن قبل شخص آخر. إنه الطابع المسامي والمترابط لحياتنا الجسدية والاجتماعية. لقد استسلمنا منـذ البدايـة لعالـم مـن الآخريـن لم نختـاره أبـداً لكـي نصبـح كائنات فردية إلى حد مـا، ولا تنتهي هذه التبعية علـى وجـه التحديـد بمرحلة البلـوغ . و للبقاء على قيد الحيـاة ، يتشارك البشر الهواء مـع بعضهم البعض ومع الحيوانـات ؛ يتشاركـون أسطـح العالم . إنهـم يلمسون مـا لمسه الآخـرون ويلامسون بعضهـم البعض. وتصف هذه الأنماط التبادلية والمادية للمشاركة بعداً حاسماً في ضعفنا وترابطنا في حياتنا الاجتماعية المتجسدة.

من ناحيـة أخـرى ، تمثلت الاستجابة العامـة للوباء في تحديـد "الفئـات الضعيفـة" – أولئك الذين مـن المرجح بشكل خاص أن يعانون من الفايروس باعتباره مرضاً مدمراً ومهدداً للحياة ومقارنتهـم بأولئك الأقل عرضة للفقـدان. وتشمل الفئـات الضعيفـة مجتمعـات السـود والملونـين المحرومين من الرعايـة الصحيـة الكافية طوال حياتهـم. كمـا تشمـل الفئـات الضعيفـة أيضـاً الفقـراء والمهاجريـن والسجنـاء والأشخـاص ذوي الإعاقـة والأشخاص المتحولين والمثليين الذين يكافحون من أجل الحصـول على حقـوق الرعاية الصحيـة ، وجميع أولئك الذين يعانـون من أمراض سابقة وظروف طبية دائمة. ويفضـح الوبـاء الضعـف المتزايـد أمام المرض لجميع أولئـك الذيـن لا يمكـن الحصـول علـى الرعايـة الصحية لهم ولا يمكـن تحمل تكلفتها. ربما يكون الضعف إذن هو الاعتماد المتبـادل ، والتعرض ،والاحتمـال الأكبر للوفاة لعدم وجود المساواة الاجتماعية.

***إلى جانب تأملاتك حـول الضعف ، توجد موضوعات مثل الحزن. ، إذ يشـعر الناس بالحزن لأنهم ببسـاطة غيـر آمنيـن اقتصادياً. كيـف نعبئ مثل هـذا الحزن ، ليعلمنا كيف نمضي قدماً؟**

– بالنسبـة لأولئك الذيـن لا مـأوى لهـم أو العاطلين عن العمـل ، فإن التوقعـات الاقتصادية لا يمكن أن تبدو أكثر كآبـة. فبدون نظام رعاية صحية عامل ومنصف ، وتأكيد الرعايـة الصحيـة كسلعة عامة وتفويـض من الحكومة ، يُـترك العاطلـون عن العمـل للتنافس علـى بدائل لتجنب الوقـوع في المرض والمـوت بسبب نقص الرعاية، هذه هـي القسوة المذهلة للولايـات المتحدة التي تصدم أجزاء كبيرة مـن العالم. العديد من العمال ليسوا عاطلين مؤقتاً عـن العمـل فحسب ، بـل يسجلـون انهيار عـوالم عملهم ، واحتمـال عـدم وجـود رواتـب ، والتشـرد ، والشعور السائـد بالتخلي عـن المجتمع الذي يجـب أن ينتموا إليه بحـق. لذا فـأن الزيادة الجذريـة في الفقر تعنـي الآن أن القلق والخوف أصبحـا القاعدة بالنسبة للكثيرين: كيف سيأكلون؟ هـل سيأكلون أقل استمـراراً وأقل صحة؟ هل سيجدون مـأوى؟ كيف سينجون ومـن يعتمدون عليهم؟ يشعـر الكثيرون بالقلق لأنهم لا يعرفون حتى الآن من أو مـا الذي سيخسرونه بعد ، وأي أجـزاء من العالم ستفقد بشكل لا يمكن اسـترداده أو يعاد إحيائها في شكل جديد ومبتـور. قد يستعـد أولئك الذين يشعـرون بالحزن الآن لمزيـد مـن الحـزن ، ولا يعرفـون مـن أي اتجـاه سيصل. إذ يرتبـط الحـزن بالفقـدان المفاجئ لحيـاة شخـص ما بإحساس بالصدمة من أن هذا العالم الآن يمكن أن تحدث فيه مثل هذه الخسائر وسوف تحدث.

قبل الوبـاء ، كان الأفق المستقبلي يغلـق بالفعل بالنسبة للعديـد مـن الأشخـاص الذين أجـبروا علـى التنقل بين الوظائـف ، والذيـن لم يـروا زيـادة حقيقيـة في الأجور ، ووجـدوا أن الإيجـارات والديـون والتكاليـف الطبية تنتمـي إلى فئة التوسـع "غـير المستحقة الدفـع"، إن إحساسهـم الكامل بالمستقبل مبنـي على ذلك الدين غير القابـل للدفع: وهـذا يصبح شكلاً من أشـكال العبودية ، وبدون نهاية.

***يرى البعض أن الأوسـاط الأكاديمية تشـعر بأنها عديمة الجدوى وأن الذهاب إلى الفصول الدراسـية خـلال هذا الوقت لا معنى له. في الواقع ، كان طلبة الفلسفة صريحين بشكل خاص. إنهم يجدون صعوبة فـي قراءة النصـوص المجـردة التي تبـدو غافلة عن مأزقنا الوجودي الحالي. بماذا تنصحينهم ؟**

– يشعـر بعـض الشبـاب ، بمـن فيهم طلابـي ، بالقلق من فقـدان الأمل نفسه. لكـن يأسهم ليس يأسـاً طائشـاً. إنهم لا يقبلـون الأكاذيـب والوعـود الكاذبة مـن المنتفعين أو السياسييـن الذيـن يطالبـون بإعـادة فتـح مـكان العمل دون أي اعتبـار لـلأرواح التـي لا يمكـن أن تنجـو مـن العـدوى.. إنهم يعيشون في حالة من عدم اليقين العميق خـلال هذا الوقت حتـى وهم يسعـون إلى ترسيخ فهمهم المستنـير للوبـاء. وأنا كمدرسـة ومستشـارة ، أفكر في كيفية الحفاظ على ثبات الشباب عندما تتأرجح مؤسسة المـرء في التعليم العالـي ، لأننا نواجـه تجميد التوظيف والإجازات وتجميد وإلغاء الوظائف الأكاديمية وما بعد الدكتـوراه. لقد كانـت الفنون والعلـوم الإنسانية تكافح بالفعـل مـن أجـل الحصول علـى تمويل لائـق في سوق التعليـم العـالي الـذي يميـل إلى مكافأة مجـالات العلوم والتكنولوجيـا والهندسة والرياضيـات دون رؤية مدى ترابط أنـواع المعرفة لدينا.

الأسئلـة الأساسية بالنسبة لي هي – كيف نعيش ، وكيف نواجـه الفناء وأفضـل السبل لفهم العـالم – هـي الأسئلة التـي تدفع العلوم الإنسانية باستمـرار ومرة أخرى، إن أزمـة القيـم التي نواجهها هائلة حيث تفرض مخططات قيـم التكلفة على إدارة الحيـاة ، وغالبـاً ما تصنف العلوم غـير المستقـرة علـى أنها حيـاة يمكـن الاستغنـاء عنها، لا عجـب أن يلجـأ النـاس إلى الشعـر والغنـاء والكتابة والفن البصري والتاريـخ والنظرية لفهم عالمهم الوبائي ، والتفكيـر في السـؤال: عندما ينهار العـالم كما نعرفه ، ماذا بعد ذلك؟

*** بالنسـبة لأولئـك الذيـن أعربـوا عـن رغبتهـم في التضحيـة بأرواحهم حتى يزدهـر الاقتصاد مرة أخرى . يبـدو أن حزنهـم الوحيـد مرتبـط بحقيقـة أن الآلة الرأسـمالية تتضرر. يبدو الأمر كما لو أن الكثيرين لم يتراجعـوا أو لا يخاطوا بسـبب موت كائنات بشـرية أخرى ؛ بل إنهم مذعورون من حقيقة أن الرأسـمالية تنقلـب. ماذا يعني هذا المنطق الأخلاقي (أو عدمه) تجاه البعض في بلدنا؟**

– نعـم ، نـرى الخطاب حـول "صحـة الأمـة" ينزلق إلى خطاب آخـر حول "صحـة الاقتصاد". لكـن الداروينية الاجتماعية قد ترسخـت في بعض الدوائر ، وخاصة في المناقشـات حول "مناعة القطيع". اذ يجادل البعض بأنه يجـب إعـادة تنشيط الاقتصـاد حتى لو تـرك الفايروس أكثر حرية في الانتشار ، مما يهدد حياة الأشخاص الأكثر ضعفـاً. فعلى الرغم من أن البعض يدعي أن المستضعفين سيظلون "محميين" بالبقاء خارج مكان العمل ، فإن هذا يعني ببساطـة تكثيف البطالة بالنسبـة للكثيرين. وهي ليست "حمايـة" لأن تلك "المناعـة" الصحية ستنقل بلا شـك الفايروس وتؤثـر علـى مجتمعاتهم ، بمـا في ذلك آبائهـم وأجدادهـم ، وجميع أولئك الذيـن لا يستطيعون البقـاء في المنـزل. نظـراً لأن "الضعفـاء" لا يُعتـبرون منتجـين في المجتمع شبـه الآري الجديد ، فهم لا يُقدّرون حياتهـم ، وإذا ماتـوا ، فهذا مقبول على ما يبدو ، حيث لا يتم تصورهـم على أنهم عمال منتجـون ، بل "مصارف" للاقتصـاد. وعلى الرغم من أن حجة حصانة القطيع قد لا تقدم هذا الادعاء صراحة ، إلا أنها موجودة.

إن إعـادة تشغيـل الاقتصـاد بدون رعايـة صحية شاملة يعنـي التضحيـة بـأرواح أولئك الذين لم تكـن صحتهم أو رعايتهـم الصحيـة جيـدة علـى الإطلاق.وهوتكشف تلك الأشكال من عدم المسـاواة الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر بشكل غير متناسب على السود وجميع أولئك الذيـن يصنفون على أنهـم "ضعفاء" في الوبـاء. لا يكفي أن نشـير إلى أن العامـل المنتج في مـكان العمل والمجال العـام من المحتمـل أن ينجو مـن العـدوى الفايروسية ، ويؤسـس مناعـة ، ويواصل العمل ؛ هذا العامل هو ناشر محتمـل عند الإصابـة. هذا ثمن يرغـب البعض في دفعه ، لكـن يجـب أن ننظر بعناية في الأخـلاق والسياسة في مثل هـذا القرار. مـن أجل "صحـة" الاقتصـاد ، ينتشر الفايروس ويضر بصحة السـكان ، لا سيما أولئك الذين هم في حالة خطرة وأكثر عرضة لخطر الموت.

في كتابها الثاني والعشرين " قوة اللاعنف " ، تؤكد جوديث بتلر بان عصرنا يدعونا إلى تخيل طريقة جديدة للبشر للعيش معاً في العالم . الكتاب الذي صدر قبل ان يجتاح وباء كورونا العالم بايام قليلة تُجادل فيه الفيلسوفة الامريكية بأن اللاعنف غالباً ما يساء فهمه على أنه ممارسة سلبية تنبثق عن منطقة هادئة في الروح، أو كعلاقة أخلاقية فردية مع أشكال السلطة الموجودة. لكن في الواقع، اللاعنف هو موقف أخلاقي موجود في خضم المجال السياسي :" عندما أقوم بالعنف ضد إنسان آخر ، فإنني أرتكب العنف بنفسي أيضًا " .

جوديث بتلر.. كورونا الذي أعاد لنا كوابيس كافكا

علي حسين

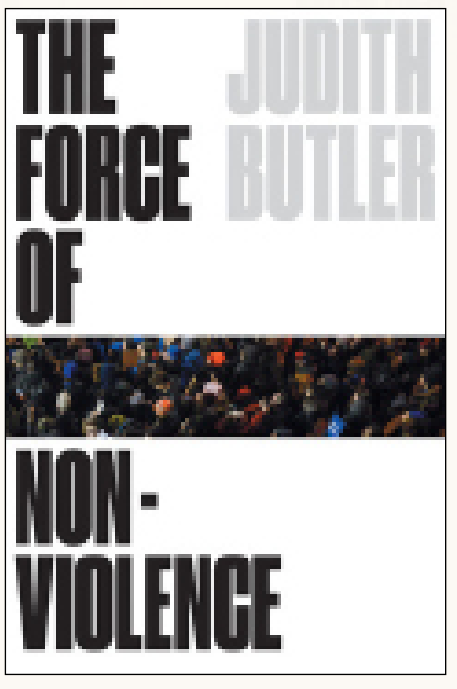

الفتاة التي قررت في الخامسة عشر من عمرها أن تصبح مثل ملهمتها سيمون دو بوفوار ، بعد ان قرات كتابها الشهير " الجنس الآخر" ، وظلت عبارة دو بوفوار الأكثر شهرة " لا تولد الواحدة امرأة، بل تصبح كذلك" ترافقها خلال مسيرتها الحياتية ، حاولت ان تنعش ايام مراهقتها بغنائم من هيغل وسبينوزا ، طعمتها بحماسها الشبابي ، واهتمامها الواسع بالقراءة ، فكان عليها ان تتعلم الفرنسية لتقرأ ملهمتها ورفيقها سارتر بلغتهم ، ولهذا قضت معظم اوقات عام ١٩٧٠ منغمسة في النصوص الفلسفية والادبية ، تخبرنا ان علاقتها بالفلسفة بدأت من قبو المنزل ، حيث كان والدها يحتفظ بكتب الفلسفة ، في هذا القبو تعرفت على افكار سبينوزا ، في المدرسة سيطلق عليها الاساتذة لقب " الثرثارة " لانها كانت كثيرة السؤال ، حيث كانت ثلاثة أسئلة تشغلها آنذاك : لماذا عاش سبينوزا حياته ملعوناً ومطروداً، وحرم من الكنيس اليهودي ؟ هل يمكن تعتبر المثالية الألمانية مسؤولة عن النازية ؟ كيف يمكن للمرء أن يفهم اللاهوت الوجودي الذي نادى به كيركغارد ؟ ..اغرتها عبارة سبينوزا : " كل انسان سبب لوجود انسان " في ان تتعمق في الحث عن الذات حيث نشرت عام ٢٠٠٢ كتابها " الذات تصف نفسها " الصادر عام ٢٠٠٢- ترجمه الى العربية فلاح رحيم – والذي تكتب فيه : " أحاول أن أبدأ قصة عن نفسي، أبدأها من مكان ما وأحدد الزمن في محاولة للشروع في متتالية أقدم بها روابط سببية أو بنية سردية في الأقل. أسرد، وأقيد نفسي في أثناء السرد، أصف نفسي، أقدم وصفي إلى آخر على شكل قصة يمكن لها أن تلخص كيف ولماذا أنا ما أنا عليه أيضًا " .

في السادسة عشر من عمرها تتعرف على افكار هيغل وستلعب كتابات الفيلسوف الالماني دورا هاما في حياتها ، حيث وجدت في الفلسفة دعوة للعيش بطريقة حرة ومختارة ، وقد ظلت بتلر تجادل ان الفلسفة ليست ذكورية في الاساس ، وأن هناك دائما نساء في الفلسفة وعلى مر تاريخها ، وتمضي بتلر الى القول لا شيء يمنع امراة شابة من دراسة الفلسفة ، ومن ثم انتاج افكارها الفلسفية . بعد اطلاعها على هيغل، ستتبنى مفهوم الاعتراف الذي أثر في حياتها السيّاسيّة و الفلسفيّة فيما بعد، نظرا لالتصاقه بوضعها الذاتي. فالرغبة في العيش، كما تحدث عنها اسبينوزا، غير ممكنة في نظرها إلا من خلال الاعتراف الهيغيلي، بحيث لا يرتبط الاعتراف بتحقيق الرغبة في العيش فقط، وإنما العيش بطريقة حرة ومختارة .

عام ١٩٨٤ تقرر الحصول على الدكتوراه برسالة بعنوان " مفهوم الرّغبة عند هيغل " .. ورغم تعلقها بسيمون دي بوفوار فانها تصف الوجودية بانها عقيدة غير واقعية ، " تمدنا بقيم زائفة " ، ورفضت ايضا مشروع كانط التنويري الذي تصفه بالرومانسي ، وارتبطت بالمدرسة النقدية حيث تسير على مقولة الالماني تيودور أدورنو من انه لاتوجد حياة حقيقيّة ضمن حياة زائفة ، وتفترض بتلر أنه لا يمكننا أن نناضل من أجل حياة جيّدة، حياة تستحق العيش، دون الاستجابة للحاجيات التي تسمح لنا بضمان الاستمراريّة.

انحازت جوديث بتلر الى منذ البداية الى فكرة هيغل التي يؤكد فيها على واجباتنا الاساسية تجاة بعضنا البعض ، حيث اكتشفت عند صاحب " ظاهريات الروح " اننا لسنا مخلوقات متوحدة ، منفصلين عن بعضنا البعض . تكتب بتلر :" في قراءتي لهيغل ، وجدت هذا الاكتشاف انني مربوط بالآخر ، وان الأخر مربوط بي ، وان كلانا مربوط بعالم حي ينير وضعنا كمخلوقات حية وعلاقتنا التبادلية المتجسدة ، وحسا من الالتزام الاخلاقي والذي هو التزام ايضا للمحافظة على عالم يجعل حياتنا ممكنة وجديرة بالعيش " . وهي تعترف بانها تعلمت من هيغل درس اخلاقي من ان حياة الفرد ليست حياته لوحده ، بل انها تنتمي لصيرورة عيش تتجاوز الفرد وتضمه الى حيوات اخرى :" لا يمكنني الهيمنة على الآخر دون ان افقد بوضوح المساواة الاجتماعية " .

اهتمت بتلر بسؤال الرغبة ، وهي تدرك ان هذا السؤال ليس بمعزل عن العلاقة مع الغير، كما أنه لا ينفصل عن سؤال الهوية وعلاقتها بالذات، فالهوية

ليست سابقة على الوجود الاجتماعي بالقدر الذي يكون فيه هذا الوجود هو أساس الهوية .

ولدت جوديث بتلر في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٥٦ ، في مدينة كليفلاند لعائلة هاجرت من المجر ، الأب مجري الاصل يعمل طبيبا للاسنان ، والام روسية عرفت بنشاطها المجتمعي . تعرضت الام لتجربة صعبة حين لقى معظم افراد عائلتها حتفهم في المحرقة النازية ، في طفولتها اصر الوالدان ان يدخلاها مدرسة دينية يهودية ، لكنها بعد ذلك ستختار دراسة الفلسفة لتحصل على الشهادة الجامعة من جامعة ييل عام عام ١٩٧٨ ، تكمل بعدها الماجستير والدكتوراه في نفس الجامعة .عام ١٩٨٤ ، تمضي رحلة اكاديمية في جامعة هايدلبرغ بصفتها باحثة ، في عام ٢٠٠٢ ، يتحقق حلمها بالجلوس على كرسي سبينوزا للفلسفة في جامعة أمستردام . عام ٢٠٠٦ حصلت على كرسي " حنة أرندت" للفلسفة في كلية الدراسات الأوروبية بسويسرا، وستفحص جوديث فيما بعد سؤال أرندت عن الحياة الجيدة وتكتب : " : ميّزت حنة أرندت بشكل حاسم بين الرغبة في العيش والرغبة في العيش الكريم، أو بالأحرى الرغبة في حياة جيدة " كانت ارندت قد كتبت في كتابها " حياة العقل " أن : " المجد الحقيقي هو في الطريقة التي نثبت بها هويتنا وافعالنا " ، وتشرح لنا جوديث هدف ارندت من هذه الحياة قائلة : " لم يكن البقاء بالنسبة لحنة أرندت ولن يكون هدفًا في ذاته، ما دام أن الحياة لم تكن أصلا جيدة ، فالحياة الجيدة وحدها تستحق أن تُعاش. لقد وضعت ارندت حلاً لهذه المشكلة السقراطية " . انتُخبت عام ٢٠٠٩ رئيسة محكمة هوسرل حول فلسطين، والتي تجمع عدد من المثقفين الأمريكيين حول القضية الفلسطينية من اجل السعي لسلام دائم وعادل بين فلسطين واسرائيل، وذلك بفضل موقفها الثابت من رفض وشجب عنف اسرائيل .. وقد اصدرت عام ٢٠١٢ كتاب " مفترق الطرق ..الهوية ونقد الصهيونية " – نقلته الى العربية نور الحريري – حيث سعت من خلاله إلى فضح الزعم القائل إنّ كل انتقاد لإسرائيل هو معاداة للسامية، منتقدة عنف إسرائيل ، وقهرها الاستعماري للسكان الفلسطينيين وترحيلهم وطردهم من اراضيهم .

جوديث بتلر التي تعمل اليوم استاذة للادب المقارن في جامعة كاليفورنيا ، تعيش في مدينة بيركلي ، كتبت مقالا تقول فيه ان الفلسفة تثبت من جديد انها موجودة دائما ، واشارت في مقال بعنوان " الرأسمالية لها حدودها " الى ما أكده من قبل سلافوي جيجيك ان الوباء ربما يساعدنا على خلق مجتمع بديل خارج النظم الراسمالية، مجتمع يحقق نفسه بأشكال التضامن والتعاون العالميين ، وكتبت بتلر ان العزلة التي فرضها الوباء تتكيف مع "اعتراف جديد بترابطنا العالمي". واضافت ان الفيروس لا يميز بين البشر : " يمكننا القول أن الفايروس يعاملنا على قدم المساواة ، ويعرضنا لخطر الإصابة بالمرض ، وفقدان شخص قريب منا والعيش في عالم من التهديد الوشيك" ، وتشير الى أن فايروس كورونا كشف لنا ان المجتمع البشري هش ، وتضرب مثلا بامريكا التي تصفها بانها اكثر الدول التي لم يكن لديها استعداد مسبق لمواجهة الوباء ، فيما تنتقد اجراءات ترامب التي تصفها بالعنصرية ، وتشير باتلر الى ان الراسمالية حاولت من خلال الوباء اعادة انتاج وتعزيز سلطاتها ، خصوصا في المناطق التي انتشر فيها الوباء بكثرة ، وهي تقول ان مثل هذه الامور لم تفاجا المواطن الذي يدرك ان الراسماية تتعامل معه باعتباره ترسا في عجلة انتاج كبيرة .

وتؤكد بتلر الى ان دونالد ترامب يسعى لاستغلال الوباء في الحصول على ولاية ثانية : " واحد من السيناريوهات التي يمكننا تخيلها الآن وهو إنتاج وتسويق لقاح فعال ضد فيروس كورونا الجديد. ترامب الطامح لتسجيل نقاط سياسية ليضمن إعادة انتخابه، سيسعى بالتاكيد لشراء حقوق حصرية للولايات المتحدة للقاح " وتسخر بتلر من بعض البلدان الاوربية التي تعتبر حياة الأوروبيين فوق حياة الجميع " ، وتضيف في انتقادها للترامب الذي تقول انه لايزال يؤمن بأن السوق هو الذي يقرر كيفية تطوير اللقاح وتوزيعه؟ وتطرح بتلر سؤلا مهما : " هل يصح أن نفترض أننا نعيش وفقًا لمعايير هذا العالم المتخيل؟ " .

وتحمل جوديث بتلر النظام الراسمالي مسؤولية خلق التفاوت بين البشر ، وهو الامر الذي لم يفعله الفايروس نفسه حسب قولها : " إن الفيروس وحده لا يميز ، ولكن نحن البشر بالتأكيد نقوم بتشكيله وتحريكه كما نحن من القوى المتشابكة للقومية والعنصرية وكراهية الأجانب. يبدو من المحتمل أننا سنرى في العام المقبل سيناريو مؤلم تؤكد فيه بعض المخلوقات البشرية حقوقها في العيش على حساب الآخرين ، وإعادة كتابة التمييز الزائف بين الحياة المؤلمة وغير المؤلمة ، أي أولئك الذين يجب الحماية من الموت بأي ثمن ومن يعتبر أن حياتهم لا تستحق الحماية من المرض والموت " .

وقالت بتلر ان ما يساعد على التصدي لخطر الفايروس هو في احياء القوانين الاشتراكية التي تحمي الضعفاء ، والدعوة الى الحركات الاجتماعية للوقوف في وجه " الغول " الراسمالي ، وتذهب بتلر الى ان المستفيد من غياب المساواة هو وباء كورونا، الذي : " يعيث في كوكب أنهكته العولمة، والاستهلاك المجنون للموارد، وظهور فئة من البشر لا تتجاوز الـ١ ٪ من السبعة لتسعة مليارات من سكان الكوكب، هذا الواحد بالمئة قد اختطف العولمة في الطريق وحوّلها لتصب في مصالحه الخاصة، بصرف النظر عن الـ٩٩ ٪ من البشر الذي أخذوا يغرقون في الفقر والجوع والحروب، اكتشف البشر أن سلة الخيرات التي كان من المفترض أن يتشاركها الكل قد أخذت تصب في سلة الواحد بالمئة. أثبتت العولمة عقمها وتحولت الشعوب للتوق للرجعة لحدودها والانغلاق على ذاتها ورفض الآخر.. رد الفعل تجاه لا عدالة العولمة تضخم لرفض البشر واحدهم للآخر، والتشكيك والمطالبة برفع السدود والحوائط على حدود الدول وقلوبها لحماية ذاتها" .

في شقتها المطلة على البحر تتأمل جوديث بتلر في العالم الذي استحال أمامها الى مريض يحتاج الى جراحة سريعة لازالة ورم خبيث من جسده ، وتؤكد في حوار معها عبر الانترنيت على أن الحديث عن فكرة مناعة القطيع ، والتي تفترض أن أولئك الذين لديهم القوة الكافية لتحمل الفيروس سيطورون مناعة ستدفع في ظل ظروف الوباء والحرمان الذي يعاني منه الضعفاء والفقراء في المجتمع التي تعتبر ضعيفة أو غير مقدرة للبقاء : " هذه ليست عقوبة إعدام صريحة من النوع الذي يصدره القضاة. لكن الموت هو نتيجة معروفة ومقبولة لسياسة تهدف إلى استعادة النمو الاقتصادي والربح كهدف واضح لها. لن أسمي هذه الخطوة سلبية. وهو شيء أكثر من التواطؤ مع عنف شخص آخر. إنها بالأحرى حسابات تحسين النسل التي تعتمد على العمال الذين يمكن الاستغناء عنهم واستبدالهم لتحقيق هدفها المتمثل في تنشيط صناعة منتجة وسط الوباء. " .

وتسمي بتلر مثل هذه الاجراءات بأعتبارها شكلا من أشكالًا العنف القانوني الذي يستهدف الأقليات. وتذهب الى القول ان الذين سيحرمون من الرعاية الصحية سيجدون انفسهم وهم يلجأون الى القانون لطلب المساعدة أن المتهم والحكم هما شخص واحد. وتصف ما يجري اشبه بكابوس تقدمه احدى قصص كافكا ، التي تصر على ان الحياة دائرة كابوسية .

وتختتم بتلر حديثها بالقول انها تأمل السماح للأعداد المتزايدة من البشر في أن ترغب في عالم متغير : " أمل أننا نستطيع جميعا الحفاظ على هذه الرغبة متّقدة " .

جودث بتلر حول ترمب، والفاشية، وبنية الشعب

ترجمة: سارة اللحيدان

ظهر هذا الحوار ابتداء في صحيفة الميديا بارت، وقام بترجمته للإنجليزية ديفيد برودر – أدار الحوار: كريستيان سالمون

ماذا يُمثل دونالد ترمب؟ قامت الفيلسوفة الأمريكية جوديث بتلر (بروفيسورة في جامعة بيركلي) بنشر كتاب موجز باللغة الفرنسية (الجمهرة) [مذكرات حول النظرية الادائية للحشود] تستعرض فيها تجسيد دونالد ترمب لنمط جديد من الفاشية. كما صاغتها، "العديد من الناس فرحون بمشاهدة هذا الرجل المزعج، عديم الذوق يحوم بالجوار، كما لو كان محور الكون وسلطانه، والفضل يعود لهذه الجمهرة".

لقد قدم العديد من الكتاب والمثقفين في أمريكا وأوروبا وجهة نظرهم حيال ظاهرة ترمب، وكانت تهدف في الغالب إلى إيضاح تخوفهم ورفضهم، وإدانة تجاوزاته اللغوية، أو التعبير عن قلقهم لمقترحاته ببناء جدار على الحدود المكسيكية، وطرد ملايين من المهاجرين غير الشرعيين. لكننا حينما نحاول فهم ما يجري مع "ترمب" – الظاهرة- فعلينا أخذ تحليلات جودث بتلر بالحسبان، والتي عملت عليها منذ التسعينات، من كتابها (الخطاب الانفعالي، سياسة الأداء) إلى آخر كتاب لها (مذكرات حول النظرية الأدائية للحشود).

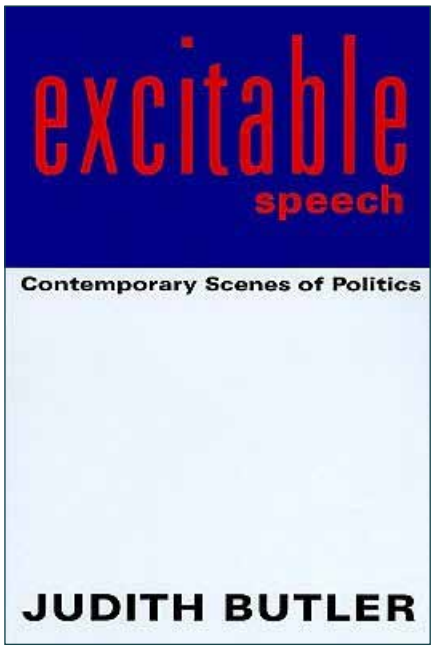

الميديا بارت: هل يمكن القول بأن دونالد ترمب نوعا ما "شخصية على السجاد"، وذلك من خلال تحليلاتك التي قدمتها خلال العقدين الأخيرين؟ أليس ترمب "موضوع بتلري" بامتياز؟

جودث بتلر: لست متأكدة ما إذا كان ترمب موضوعا جيدا للتحليلات التي قمت بجمعها فعلى سبيل المثال، لا أظن بأن هناك سحرا في شخص ترمب الإنسان، وعندما ننظر لخطاباته، فعلينا أن نأخذ بالحسبان التأثيرات التي تحملها هذه الخطابات على جمع محدد من الشعب الأمريكي. ودعونا لا ننسى بأنه انتخب بما نسبته أقل من ربع السكان، وأنه على وشك أن يصبح رئيسا بفضل وجود مجمع انتخابي قديم.

لذا علينا ألا نتصور بأن ترمب يتمتع بدعم جماهيري واسع. فهناك خيبة أمل عامة بالمجال السياسي، واحتقار علني للحزبين الرئيسين في الولايات المتحدة. مع هذا، حصدت هيلاري كلينتون تصويتا أعلى من ترمب، فلذلك عندما نُسأل عن دعم ترمب، فعلينا أيضا أن نسأل أنفسنا كيف لأقلية أمريكية أن تمنحه السلطة. وليس علينا النظر في تزايد الدعم الشعبي له، بل في العجز الديمقراطي. يجب إلغاء المجمع الانتخابي حتى تكون انتخاباتنا انعكاسا للإرادة الشعبية. وفي ظني أن أحزابنا السياسية بحاجة لإعادة نظر حتى تزيد من تفاعلها الشعبي في العملية الديمقراطية.

إن الأقلية التي دعمت ترمب، والتي استطاعت منحه الفوز الانتخابي، قد تمكنت من ذلك ليس فقط عبر سخطها على المجال السياسي، بل سخطها أيضا على عدم تصويت ما نسبته خمسون بالمئة من الناخبين المسجلين. ربما علينا أن نتحدث عن انهيار التفاعل الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية.

في ظنّي أن ترمب قد أطلق العنان لغضب له أسباب وأهداف عديدة، وربما علينا أن نشكك بهؤلاء الذين ادّعو معرفة السبب الحقيقي، والهدف الوحيد الذي يكمن خلف هذا الغضب. إن حالة الدمار الاقتصادي وخيبة وفقدان الأمل في المستقبل، والتي ولدت حركة اقتصادية ومالية أهلكت المجتمعات، قد لعبت دورا هاما في هذا الأمر. ولكن تزايد التعقيد الديموغرافي الأمريكي كان له دور أيضا، وكذلك أشكال العنصرية القديمة والجديدة ... هناك رغبة "حازمة" بتعزيز السلطة ضد الأجانب والعمال غير الشرعيين، لكن ذلك أيضا يصاحبه رغبة لحرية عظمى من عبء الحكومة، كشعار يخدم الفرد والسوق على حد سواء.

أوضح نقطة للمقارنة بين ترمب والفاشية -إذا كان هناك ما يمكن مقارنته- هو ما يتعلق بالعلاقة بين الزعيم والجماهير التي تتقدمه. إن الزعماء الفاشيين لم يبتكروا هذه الفاشية بالأساس، لكنهم تزعموا السلطة عبر سيناريو معين كانت فيه الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة تعاني من حالة تدني أوضاعها بعد هزيمة وأزمة العشرينات، وعبرت عن استيائها وكراهيتها للبروليتارية. سنحت لي الفرصة مؤخرا بالحصول على نص قديم لتروتسكي، حيث يتحدث فيه عن الزعيم الفاشي. ظننت أنه يقدم وصفا جيدا لظاهرة ترمب يقول: "حيث تكون أفكاره السياسية ثمار خطاباته الصوتية. وهكذا تُختار الشعارات، ويوحّد البرنامج. وبهذه الطريقة يصقل جوهر هذا الزعيم" هل يمكننا قول المثل مع ترمب؟

ربما حانت الفرصة للتمييز بين الأشكال القديمة والجديدة للفاشية. ما وصفته يتعلق بفاشية منتصف القرن العشرين الأوروبية. لكننا مع ترمب نواجه وضعا مختلفا، ولو أنني لازلت أود وصفه بالفاشي. ترمب رجل غني بينما من ناحية أخرى معظم المصوتين له ليسوا كذلك، ومع ذلك تفهم له العمال، فانتفع من النظام ونجح في ذلك.

ربما نأخذ مثالا لمقدرته على استغلال مسألة ديونه من أجل التهرب من دفع الضرائب. كانت هيلاري كلينتون مخطئة في اعتقادها بأن عامة الشعب الذين يدفعون ضرائبهم سيغضبون من هذا الأمر. على النقيض. فقد نال إعجابهم لنجاحه بإيجاد وسائل للتهرب من دفع الضرائب. لقد رغبوا بفعل المثل أيضا! مع هذا، فالجانب الفاشي يظهر عندما يدعي دون مبرر بأنه قادر على طرد ملايين من الناس أو حتى سجن هيلاري بمجرد توليه السلطة (الأمر الذي تراجع عنه لاحقا)، وكسر الاتفاقيات التجارية متى ما شاء له، وإهانة الحكومة الصينية، والمناداة بإعادة تفعيل "الغرق الوهمي" -الاختناق عن طريق الغرق- وغيرها من أشكال التعذيب.

هو يتحدث على هذا النحو، كما لو أن لديه سلطة حصرية لتقرير السياسة الخارجية، وتقرير من يدخل السجن، ومن سينفى من البلاد، وماهي الصفقات التي سيعمل بها، وأي من السياسيات الخارجية ستنتهك، وأي منها سيصادق عليها.

وبالمثل أيضا، عندما يبين أنه سيعاقب ويقتل كل من يعترض طريقه في الحشد، هو بذلك -ولنكن صريحين- يكشف عن رغبة قتل لها صداها بين العديد من البشر. عندما يطبّع الجنس غير التوافقي، أو عندما يصف هيلاري بأنها "امرأة سيئة" فهو بهذا يرسخ لكراهية النساء، وعندما يصف المهاجرين الأمريكيين بأنهم قتلة فهو مرة أخرى يعلي صوت قديما للعنصرية. لقد اتخذ العديد منا غطرسته، نرجسيته، عنصريته، وكراهيته للنساء، إضافة لتهربه من دفع الضرائب سمات لشخصية مدمرة-ذاتيا، ولكنهم في الحقيقة ألهبوا حماس العديد من الناس للتصويت له. ليس من أحد يستطيع التأكيد ما إذا كان ترمب قد قرأ الدستور، أو اهتم بذلك. إن هذه الغطرسة هي ما جذبت الناس إليه، وهذه هي الظاهرة الفاشية. وعندما يحول خطابه إلى أفعال، عندها ستكون لدينا حكومة فاشية.

لم تكن حملة ترمب بشعر أو نثر، كما في القول المأثور لماريو كومو، ولكن مثل جميع الزعماء الفاشيين كانت بلغة عامية. فقد ابتكر لهجة اجتماعية تخصه، وهي خليط من الدعابات، والملامح الساخرة، والتلميحات القذرة، والتذمر، والشعارات واللعنات. تنسجم بلاغته بنوع من "وسم" يقوم على الإقصاء. فتواصله يضعف عبر الخطابات المنظمة مقارنة بتلميحاته ومزيج الشعارات والشتائم التهديدية كسلاح لانتزاع شرعية الأقليات.

كيف قمتِ بتحليل شعار دونالد ترمب في برنامج (المتدرب) - "أنت مطرود"؟

مرة أخرى هذه اللغة تفترض أنه هو الوحيد القادر على حرمان الناس من عملهم، منصبهم، أو سلطتهم. لذلك، فإن جزء مما نجح في القيام به هو إيصال معنى القوة التي منحها لذاته. وهذا هو بالضبط ما تفعله اللغة مثلما ذكرت. علينا أيضا أن نأخذ في الحسبان أن الغضب ضد النخب الثقافية يأخذ شكلا من أشكال الغضب ضد الحركة النسوية، الحقوق المدنية، إضافة إلى التنوع الديني والثقافي. وفي ظني أن هذه الأسباب المختلفة تظهر وكأنها قيود "للأنا الأعلى" والتي تلقي بظلالها على مشاعر العنصرية وكراهية المرأة.

إن ما قام به ترمب هو "تحرير" كراهية ضد الحركات الاجتماعية وضد الخطاب العام المناهض للعنصرية. ففي نظره أن كل شخص هو حر في كراهيته. فقد وضع نفسه في موضع استعدادي للوقاية من الإدانة الشعبية له ولعنصريته، وتمييزه الجنسي، ونجح في ذلك. حتى مناصروه يرغبون أيضا بألا يخجلوا من عنصريتهم، بالتالي جاءت الزيادة المفاجئة في معدل جرائم الكراهية في الشوارع وفي وسائل النقل العام فورا بعد انتخابه. فقد شعر الناس بحرية النباح بعنصريتهم وفق ما

يناسبهم. وبالنظر لذلك، كيف يمكننا أن نحرر أنفسنا من "المحرر" ترمب؟

إننا حينما نركز بشكل بالغ على الخطاب فقد نخاطر بنسيان البعد الثاني، لـ "ماديته" الصارخة في حضوره في التجمعات والبرامج الحوارية. فليس من أمر يستحق الذكر أكثر من تسريحة شعره و "برتقاليته" وأبعد من هذا طريقته في تحريك يديه وفمه، وتكلف مضحك في إيماءات وجهه، كشكل من التعريض الجسدي المبالغ به للعالم الواقعي. فما التماثيل العارية المنتشرة لترمب في ساحات المدن الأمريكية إلا إقرار بنوع من الهبوط الفني الذي يهدف للبغضاء والاستفزاز المادي.. عندما أرى ذلك يحظرني قول كافكا "أحد أكثر وسائل الإغراء الفعالة التي يمتلكها الشر، هو تحدّ الكفاح ضده" كيف تحللين هذه الشخصية "التلفازية الواقعية" ودخولها للمنصة السياسية؟

من الواضح أن الرئاسة أصبحت ظاهرة إعلامية بشكل متزايد. السؤال هو كم من الناس قد تعاملوا مع التصويت كما يتعاملون مع فيسبوك، أعني عندما يقومون بالضغط على "تفضيل". تصدر ترمب الشاشة، وأصبح شخصية مُهددة. فقد رأينا ذلك في تهكمه في البرنامج الحواري Saturday Night، عند تساؤله عن تهجم أليك بالدوين على هيلاري كلينتون خلف المنصات. هذا النوع من التهديد هو امتداد لقوته في تحرشاته الجنسية. فهو يمضي إلى ما يريد، ويقول ما يرغب بقوله، ويأخذ ما شاء له أن يأخذه. فحتى لو كان لا يملك كاريزما بمفهومها التقليدي، فإنه يملك قوة شخصية ومكانة عن طريق استحواذه على الشاشة بهذه الصورة.

بهذا المعنى، ينشر ترمب صورة شخص يكسر القواعد، ويفعل ما يريد، غارق بأمواله، يمارس الجنس متى ما شاء ومع من يشاء. فابتذاله يملأ الشاشة، تماما مثلما يمتلئ به العالم. لذلك فرح العديد من الناس برؤية هذا المزعج، عديم الذوق يحوم حولهم كما لو أنه محور الكون وسلطانه والفضل يعود لهم.

بعدما أُتهم بالكذب، دافع ترمب عن نفسه بقوله إنه يمارس ما سماه بـ "غلو الصادقين"، كشكل بريء من المبالغة - ووسيلة فعالة للترويج لنفسه. لقد تزايد استخدام مصطلح "سياسة ما بعد الحقيقة "في وسائل الإعلام الأوروبية، وذلك للدلالة على ضبابية الصواب من الخطأ، والواقع من الخيال" والذي وصفته حنة أرندت بأنه سمة من سمات الشمولية. قامت وسائل الاعلام الاجتماعية، عبر هذا الإطار، بخلق سياق جديد يتميز بظهور فقاعات إخبارية مستقلة، وهو نوع من الأخبار التي تحمل صدى يسمح لأعنف الشائعات ونظريات المؤامرة بالانتشار، إذ يتعذر تمحيصها من قبل وسائل الاعلام الحقيقة. فقد كان ترمب خلال حملته الانتخابية قادرا على التعامل مع التجمعات الصغيرة المستاءة عبر تويتر والفيسبوك، عبر تأطيرهم بـ "موجة" مفرطة الحماس. ما رأيك بهذا المفهوم "سياسة ما بعد الحقيقة"؟

بكل شفافية، لا أظن أن تلك كلمات ترمب. فهي تبدو كمحاولة شخص يطبّع ويهتف لعلاقته المتعجرفة مع الحقيقة. لست متأكدة ما إذا كنا في وضع ما بعد الحقيقة. يبدو لي أن ترمب يهاجم الحقيقة دون خجل من حقيقة أنه لا يُدعّم تصريحاته بدلائل أو أي منطق. إن تصريحاته ليست اعتباطية، وهو مستعد لتغيير موقفه متى ما شاء ذلك، فحينما تكون هناك فرصة تبرز دوافعه أو تأثيره النفعي فسيكون هناك تغيير. على سبيل المثال عندما قال إنه عندما سيصبح رئيسا سـ" يقوم بسجن هيلاري" كانت تهليلة لمن يكرهون هيلاري وقد ساهم ذلك بزيادة كراهيتها أكثر. هو بالطبع لايملك سلطة لرمي هيلاري في السجن، وحتى لو كان رئيسا فليس له سلطة لفعل ذلك دون وجود إجراء جنائي وحكم قضائي. لكن في تلك اللحظة ذاتها، كان فوق كل إجراء قانوني، يمارس إرادته كما يريد، و ينمّط لشكل الاستبداد الذي لا يُعنى بالتشكيك بما لو كانت هيلاري قد اقترفت جناية أم لا، وكل الدلائل تشير إلى أن الحال ليس كما يبدو عليه الآن. ليس هناك ما يدعم مزاعمه بأن هيلاري كلينتون قد حازت على تأييد شعبي بسبب الملايين من المصوتين "غير الشرعيين"، فهو يسعى إلى نزع شرعية التصويت الشعبي في نفس الوقت الذي تجرح فيه نرجسيته.

في الوقت نفسه، يستبعد تماما فكرة أن التصويت له ربما يكون غير شرعي، بمعنى أنه ليس بالأهمية الكبرى حينما يناقض نفسه أو حينما برفض بوضوح الاستنتاجات التي تقلل من سلطته وشعبيته، فكلها معا تحدّ وجرح له. هذه النرجسية واللامبالاة بتقديم دلائل منطقية هي ما رفعت من شعبيته أكثر. ترمب يعيش فوق القانون، وهكذا يود أن يعيش مناصروه.

في (الخطاب الانفعالي) قمت بتحليل العنف اللفظي لخطاب الخوف من المثليين، التمييز الجنسي، أو العنصري الذي يهدف إلى كسر وإقصاء الناس المعنيين بالخطاب. وقمت أيضا بإبراز أن هدف العنف اللفظي يرمي لإعادة رسم حدود البشر وهذا يعني عملية خطابية لإقصاء، وملاحقة، ووضع حدود، ويعني أيضا تشكيل تجانس بشري، أحادي اللون، متباين الجنس لشكل من الشعوب المتخيلة. ومع هذا، ذكرت أن هذا الأداء يمكن أن ينقلب ضد نفسه، فاتحا المجال لصراع سياسي وتدمير هوياتي. مالذي يمكن أن يُبرز كل ذلك برأيك؟

ربما سنرى كراهية للأجانب كوسيلة على تأكيد هوية "الشعب". كان هناك دعم لترمب بين أولئك المحرومين اقتصاديا، وبين أولئك الذين يظنون أنهم خسروا امتيازهم العرقي الأبيض. لكن العديد من الهانئين صوتوا أيضا لترمب، وذلك بعد اقناعهم بفتح مزيد من الأسواق، الأمر الذي سيمنحهم فرصة للثراء لاحقا. بإمكاننا أن نركز على خطابه، وهو مهم بكل تأكيد، لكنه ليس الشيء الوحيد الذي جذب الناس إليه.

على أي حال، أظن أن سيناتور ماساتشوستس إليزابيث وارين كانت محقة بردها على تعليقه الممتهن لهيلاري كلينتون، "إنها امرأة سيئة" فكان ردها "إليك يا دونالد، المرأة السيئة قوية، ذكية، وتملك صوتها، في الثامن من نوفمبر، نحن معشر النساء السيئات سنخرج ونسير بأقدامنا السيئة للإدلاء بأصواتنا السيئة وإقصائك من حياتنا إلى الأبد "من دون شك، كانت لحظة مثيرة للنسوية، لكنها لم تكن كافية.

منذ عام 2011 شهدنا نشوء تجمعات دولية مثل الاحتلال، الغضب، نصب الظلام، الربيع العربي.. في آخر كتبك قمت بتحليل الأوضاع لظهور هذه الحركات، وتضميناتها السياسية، وقمت بشمل الأداء السياسي في تحليلاتك. وكتبت بأنَ احتشاد الجموع يأخذ شكلا سياسيا لا يختزلَ إلى مطالب تلك القوى الفاعلة أو الخطاب المقدم. أي قوى يمكنها أن تمنع تلك الحشود الجماعية؟ ماذا يمكن أن يكون طابعها الديمقراطي؟

ربما كلمة "الظهور-apparition" ليست الكلمة المناسبة لـ "appearance" بالإنجليزية. لكننا مرغمين على العيش مع أشباح اللغة. رغم أن المظاهرات والتجمعات غير كافية في الغالب لإحداث تغيير جذري، إلا أنها تقوم بتغيير مفهومنا لماهية "الشعب"، وتؤكد الحريات الأساسية المتعلقة بالتعددية الجسدية. قد تغيب الديمقراطية دون حرية التجمع، ولا يمكن أن يكون هناك تجمع دون حرية تحرك واجتماع، فالقدرات التنقلية والجسدية هي افتراضات لتلك الحرية. والمظاهرات الشعبية ضد التقشف وانعدام الاستقرار في الشوارع، وتحت أعين العامة، وأجساد الأفراد الذين عانوا من خسارة طبقية وشعور بالتدهور المدني، هي توكيد للعمل الجماعي عن طريق تجمعهم بطريقتهم الخاصة. لذلك عندما نستحضر التجمعات البرلمانية كجزء من الديمقراطية، فإن بإمكاننا أيضا أن ندرك قوة التجمعات اللا برلمانية لتغيير الوعي العام حول ماهية الشعوب. خاصة عندما يبرز من كان غير معني بإبرازه، لنرى أن "ميدان الظهور" والقوى المسيطرة على حدودها وانقساماتها هي افتراضات لأي نقاش حول ماهية "الشعب". وأتفق مع جاك رانسير في هذا الشأن.

قام مشيل فوكو بتحليل الديمقراطية اليونانية للقرن الرابع والخامس الميلادي، كمشكلة خطابية، المفارقة بأن "قول الحقيقة" في الديمقراطية (خطاب محرف) وبعد تنحية "الطور" السياسي من "آغورا" إلى "إقليسيا"، أعني من مدينة المواطنين إلى المحكمة السيادية. هل يمكننا أن نعتبر نمو هذه الأطوار الديمقراطية التي ظهرت منذ 2011 انتقام آغورا من إقليسيا؟

إن سلطة قول الحق ليست جهدا فرديا بالأساس. قول الحقيقة للسلطة يعني تولي سلطة عن طريق هذا القول. ويعني أيضا أن بناء السلطة يمكن أن يعاد استخدامه وانتشاره كنوع من خدمة "استجابية" وعلى هذا، يمكن أن نعتبر المتحدث الخاضع، هو متحدث فردي، وهذا الوضع مجهول ومتغير يحتمل أن يضم عددا معينا من الناس. وقبل السؤال عما يعنيه قول الحقيقة للسلطة، علينا أن نسأل عمن باستطاعته الحديث.

أحيانا، مجرد وجود أولئك الذين يفترض بهم أن يصمتوا الخطاب الشعبي يمّكنهم ذلك من كسر بناءه. فعند تجمع المهاجرين غير الشرعيين، عند اجتماع ضحايا التهجير، عند اجتماع من يعانون البطالة أو انخفاض جذري في معاشاتهم التقاعدية، هم بذلك يخلدون أنفسهم في الصورة والخطاب التمثيلي لماهية الشعب وما ينبغي له أن يكون. بكل تأكيد لهم مطالب محددة، ولكن التجمع هو وسيلتهم بجعل الطلب كالجسد الواحد، وهو مطلب مادي في فضاء العامة، وطلب شعبي للسلطات السياسية.وعلى هذا النحو، علينا في البداية أن "نقتحم وندخل" داخل الخطاب قبل أن نتمكن من قول الحقيقة للسلطة. وعلينا أن نكسر قيود التمثيلات السياسية من أجل عرض عنفها ومعارضة إقصائيتها. ومادام "الأمن" يواصل تبرير حظر وتفريق المحتجين، والمتظاهرين، والمعسكرات، فهو يساهم بإهلاك الحقوق الديمقراطية والديمقراطية نفسها. إن التحركات واسعة النطاق هي وحدها التي ستنجح في هزيمة كراهية الأجانب القومية، ومختلف الأعذار التي تهدد ديمقراطية اليوم، وهي وحدها التي يصحّ تسميتها بشكل من أشكال التجسد ما وراء القومي.

عن موقع حكمة

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
علي كاطع

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

جوديث بتلر في عتمة الذات

في «الذات تصف نفسها» (ترجمة فلاح رحيم، دراسات فكرية من إصدار جامعة الكوفة، «التنوير للطباعة والنشر»، ٢٠١٤)، تقدم أستاذة البلاغة والدراسات المقارنة في «جامعة كاليفورنيا» جوديث بتلر (١٩٥٦) التي أصدرت كتابات في الفلسفة السياسية والنسوية ونظرية الأدب، مادة شديدة الكثافة عن طبيعة تكوّن الذات وعلاقتها بالأخلاق ومفهوم المسؤولية.

وضعت الفيلسوفة الأميركية نصها عام ٢٠٠٥ ضمن برنامج محاضرات سبينوزا في «جامعة أمستردام». وللمرة الأولى ينقل إلى العربية كتاب كامل لها رغم إسهاماتها الفكرية والنقدية تجاه الصهيونية وعنف الكيان الإسرائيلي ودعوتها إلى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها.

ريتا فرج

ليس الكتاب الذي يندرج في إطار فلسفة الذات وإشكالياتها الوجودية المفتوحة على علوم متداخلة، نتاجاً فلسفياً سهلاً. يضعنا منذ البداية أمام تحدي المعنى ومقاصده، وقد نبه المترجم العراقي فلاح رحيم القارئ في مقدمته الوافية إلى مستوى التعقيد الفلسفي الذي يتضمنه. حالما تلتقط الفحوى حتى يفاجئك سياق فكري/ فلسفي أشد إرباكاً يعيدك إلى نقطة الصفر. تميز العمل بتشابك الأفكار وحجم المناقشات والإحالات إلى فلاسفة غربيين كبار أمثال نيتشه وهيغل وميشال فوكو وثيودور أدورنو وإيمانويل ليفيناس وجان لابلانش، كانت لهم أطروحات خلاقة وإبداعية في اكتناه الذات وعلاقتها المعقدة مع البيئة التاريخية والاجتماعية والأخلاقية والدواخل الفردية. تصف أستاذة الفلسفة في «جامعة بوسطن» كرستا هوداب كتاب بتلر الذي نقل إلى الفرنسية عام ٢٠٠٧ بأنه بلغ أقصى درجات الصعوبة في الكتابة الفلسفية، وعدّته من أعمق مؤلفاتها. حصلت بتلر عام ٢٠١٢ على «جائزة أدورنو» الفلسفية الرفيعة، التي تمنحها فرانكفورت كل ثلاث سنوات للمتميزين في الفلسفة والموسيقى والمسرح والأفلام، احتفاءً بذكرى الفيلسوف الألماني (١٩٠٣ـ ١٩٦٩).

صاحبة «حياة قلقة: قوة الحداد والعنف» تستقصي وصف الذات والطرق المتاحة أمامها للتعبير عن نفسها. تبدأ عملها الرائد في تحليل أدورنو للعنف الأخلاقي الناجم عن خلل يصيب العلاقة بين الذات وحاضنتها القيمية الاجتماعية. عبر النقاش الفلسفي المستفيض لأدورنو، ترى أنّ «الأنا» لا تقف في معزل عن قالب مهيمن من المعايير الأخلاقية والأطر الخُلقية المتصارعة، ويُعد هذا القالب بمعنى مهم الشرط لنشوء الأنا رغم أنّها لا تتكون بسبب هذه المعايير.

تجادل نيتشه في كتابه «جينيالوجيا الأخلاق» الذي اعتبر أن مسألة توجيه الاتهام والتهديد بالعقوبة هما أداتان لتنشئة الإحساس بالذات، ولا تتفق معه كونه لا يأخذ في رؤيته الفلسفية المواقف التحاورية الأخرى التي تقدم فيها الذات وصفها لنفسها خارج نطاق العلاقة القانونية والقضائية.

تنتقد بتلر خلاصة نيتشه حول تشكل الذات بوصفها نتاج عقاب فقط. وتستعين بفوكو الذي تخطى الفهم النيتشوي ورفض تعميم مشهد العقاب لتفسير الطريقة التي تتشكل بها الذات الانعكاسية. وبينما يعتقد نيتشه أن الأخلاق قد تُشتق من مشهد العقاب المرعب، يركز فوكو على الإبداعية الخاصة التي تنخرط فيها الأخلاق وكيف أن الضمير المثقل، على وجه الخصوص، يصبح الوسيلة لصناعة القيم، وأن نظاماً للحقيقة هو ما يوفر الشروط التي تجعل إدراك الذات ممكناً.

في محور «أسئلة ما بعد هيغلية»، تستند إلى مؤلّف هيغل «فينومينولوجيا الروح» الذي استعصت أعماله على كثيرين. لا أحد. كما تؤكد بتلر. قادر على قراءة الفلسفة الهيغلية بسرعة مهما بلغ من العلم. نظر الفيلسوف الألماني إلى نشوء الذات بوصفها وعياً ذاتياً يقع ضمن صيرورة عملية الاعتراف وفي خضم العلاقة سيد/ خادم، معتبراً أنّ الوعي الذاتي الأول لا يستطيع أن يتمتع بتأثير أحادي في الوعي الذاتي الآخر، بما أن كليهما متشابهان بنيوياً، فإن فعل أحدهما يتضمن فعل الآخر. يوجد الآخر عند هيغل في الخارج دائما، على الأقل هو يوجد أولاً في الخارج ولا يُعترف به مكوّناً للذات إلاّ في ما بعد. هنا تستعين بتلر بالمفكرة الإيطالية أدريانا كافاريرو التي تناقش الطرح الهيغلي وتقول: «إن الذات ليست عالماً مغلقاً على النفس، ذاتاً أنانوية، أنا موجودة بمعنى مهم بالنسبة لك، وبفضل وجودك... ولا يمكن للمرء الإحالة على «الأنا» إلاّ في علاقة مع «أنت»: دونما أنت تصبح قصتي مستحيلة».

في صلب موقع «الأنت» من «الأنا» تدرس بتلر التحليلات التي صاغها الفيلسوف الفرنسي إيمانويل ليفيناس الذي انطلق من ميراث الفلسفة الظاهراتية، ورفض الفكر الأنطولوجي وفضل الميتافيزيقيا لأنها تنشغل بما وراء ذاتها، وتتجه إلى الآخر المغاير كما تهتم بالأسئلة الأخلاقية. سجال بتلر مع ليفيناس تمحور حول اتجاهين عنده: الأول «مفهوم العلاقة وجهاً لوجه» كما فسرتها الظاهراتية؛ والثاني الاستبدال الذي يعني ارتهان الذات نفسها للآخر. تنتقل بعدها إلى مقاربات التحليل النفسي للذات انطلاقاً من نظرية «التحويل» كما قاربها لابلانش وبولاس. كما تحلل نظريات أدورنو الذي يدعو الفلسفة الخُلقية اليوم إلى شجب اللاإنساني شجباً ملموساً أكثر من محاولاتها الغامضة والتجريدية التي تسعى إلى موضعة الإنسان في وجوده.

تنتهي بتلر بعد تحليل طروحات أدورنو وفوكو ولابلانش ونيتشه وهيغل وليفيناس إلى القول بأنّ «الانحلال في الآخر ضرورة أولية، نكدُ بالتأكيد، لكنه فرصة أيضاً، فرصة أن أكون مخاطبة، مطلوبة، مرتبطة بما هو ليس أنا، لكني أجد أيضاً من يحركني، يدفعني إلى الفعل، وإلى أن أخاطب نفسي، في مكان آخر، وبالتالي أن أخلي الـ«أنا» المكتفية بذاتها اكتفاء امتلاك».

«الذات تصف نفسها» يمثل تحدياً أمام كل ذات واعية تريد سبر الغموض، غموض الداخل، وعلاقته الجدلية مع العالم والآخر، من منظور فلسفة الأخلاق والتحليل النفسي والسيرة الذاتية. يبرهن الكتاب على العتمة الخفية في ذواتنا التي لم نستطع الإفلات منها أو تجاوزها بالكشف، رغم المحاولات المعرفية الضخمة والحثيثة التي خاضع غمارها الفلاسفة وعلماء علم النفس والأدباء.

عن الاخبار